

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ \* فَلَمَّا أَسْلَمَ وَتَلَهُ الْجَبِينَ \* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ \* قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا  
إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ \* وَقَدِيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ» [الصافات ١٠٢-١٠٧].

(٤) وَقَدْ سَجَّلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لِإِسْمَاعِيلَ، أَنَّهُ شَارَكَ أَبَاهُ فِي الْأَدْكَارِ، وَبِنَاءَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ مَثَابَةً  
لِلنَّاسِ وَأَمْنًا. وَكَانَا يَدْعُونَ رَبَّهُمَا فِي أَشْتَاءِ الْبَيْنَاءِ. قَالَ تَعَالَى: «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ  
وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلَ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ  
وَأَرَنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ \* رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيَعْلَمُهُمْ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَبِرْكِيْهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [البقرة ١٢٧-١٢٩]. هَكَذَا كَانَ إِسْمَاعِيلُ حَيْرًا وَبِرَكَةَ  
لَأَبِيهِ؛ فَكَانَ مَجِيئُهُ إِلَى الدُّنْيَا -كَمَا ذَكَرَ الْقُرْآنُ- تَحْقِيقًا لِدُعَاءِ أَبِيهِ: «رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ \* فَبَشَّرْنَاهُ  
بِغَلامَ حَلِيمَ».

(٥) عَلَى أَنَّ بَرَّ الْأَبْنَاءَ بِآبَائِهِمْ، لَا يَعْنِي أَنْ يُواافقَ الْأَبْنَاءَ آبَاءَهُمْ، وَيَسِيرُونَ عَلَى طَرِيقِهِمْ، وَلَوْ دَهَبُوا بِهِمْ إِلَى الجَحَّيمِ.  
هَذَا مَا يَذَكُرُهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَعَ أَبِيهِ آزَرَ. لَقَدْ أَنْتَبَتْ إِبْرَاهِيمُ أَنَّهُ مُطِيعٌ لِلَّهِ؛  
حَيْثُ رَفَضَ أَنْ يَسِيرَ وَرَاءَ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ فِي الْعُكُوفِ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَلَمْ يَقْتَشِعْ بِحُجَّةٍ أَنَّهُمْ وَجَدُوا آبَاءَهُمْ لَهَا  
عَابِدِينَ، وَأَعْلَنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ وَآبَاءَهُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

(٦) هَكَذَا بَيَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَأَبِيهِ اسْتِقْلَالَ شَخْصِيَّةِ الْأَبْنَاءِ، مَا دَامَ تَكْيِيرُهُ سَلِيمًا صَحِيحًا.  
وَلَقَدْ بَلَغَ إِبْرَاهِيمُ فِي ذَلِكَ الْاسْتِقْلَالِ أَنْ تَبَرَّأَ مِنْ أَبِيهِ، وَعَدَلَ عَنِ اسْتِغْفارِهِ لَهُ، حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوُّ لِلَّهِ؛  
«وَمَا كَانَ اسْتِغْفارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوُّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ  
لَا وَاهْ حَلِيمٌ» [التوبه ١١٤].

(٧) وَلَيْسَ مَعْنَى حُبِّ الْآبَاءِ أَبْنَاءَهُمْ، أَنْ يَقْبَلَ الْآبَاءُ الْأَبْنَاءَ عَلَى عِلَّاتِهِمْ؛ فَيَغْضِبُونَ الطَّرْفَ عَنْ أَخْطَائِهِمْ، وَيَطْلُبُونَ  
تَبَرِيرًا لِأَخْطَائِهِمْ بِاسْمِ الْأَبُوَةِ الْحَانِيَّةِ. هَذَا مَا يَذَكُرُهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي قِصَّةِ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَعَ أَبِيهِ،  
قَالَ تَعَالَى: «وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي  
مَوْجِ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحُ أَبْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعْنَى وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ  
يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مِنْ رَحْمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ \* وَقِيلَ  
يَا أَرْضُ الْبَلْعَى مَاءِكَ وَيَا سَمَاءَكَ أَقْلَعِي وَغِيَضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ  
\* وَنَادَى نُوحُ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ أَبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ \* قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ  
مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ \* قَالَ رَبِّ  
إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَعْفَرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [هود ٤١-٤٧].

(٨) وَهَكَذَا بَيَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مُنْدَأً أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنَاءَ قَضِيَّةَ العلاقةِ بَيْنَ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ، فَجَعَلَ لِكُلِّ حَقَّهُ، وَحَدَّدَ  
وَاحِبَّهُ، وَأَلْزَمَ الْجَمِيعَ - فِي مُمَارَسَةِ هَذِهِ الْعَلَاقَةِ - بِالْتَّعَاوُنِ عَلَى الْبَرِّ وَالْتَّقْوَى، وَتَرْكِ الإِثْمِ وَالْعُدُوانِ، وَالْأَمْرِ  
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَبِذَلِكَ تَسْعَدُ الْأُسْرَةُ، وَيَتَعَاوَنُ الْآبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ لِوَضْعِ لِبَنَاتِ طَيَّبَاتٍ فِي بَنَاءِ خَيْرٍ  
أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ؛ قَالَ تَعَالَى: «كُنْتُمْ خَيْرًا أُمَّةً أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ» [آلِ عِمْرَانَ ١١٠].

(بِتَصْرِفِ مِنْ: مَحْفُوظُ أَمِينُ غَرِيبٍ)

الْوَحْدَةُ الرَّابِعَةُ عَشْرَةً

الْمَاءُ أَصْلُ الْحَيَاةِ وَسِرْهَا



## ما قبل القراءة:

- ١- ما أهم ثلاثة عناصر لا يستطيع الإنسان الحياة دونها في رأيك؟
- ٢- عندما تسمع كلمة ماء، ما أول شيء يتبع إلى ذهنك؟
- ٣- ما أكثر الكائنات الحية حاجة للماء في رأيك؟
- ٤- العطش والجوع: أيهما يستطيع الإنسان أن يتحمله أياماً أكثر؟
- ٥- اذكر بعض فوائد الماء للإنسان؛ غير الشرب.
- ٦- كيف يتخلص الإنسان من الماء الزائد في جسمه؟

## الماء أصل الحياة وسرّها

(١) الماء أصل الحياة وسرّها، وهو الغنصر الأول المكون لكل خلية حية، فلا حياة بلا ماء. قال الله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٌّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ» [الأنبياء: ٢٠]. والماء عنصر مهم جداً لأي حياة نباتية، مصداقاً لقوله تعالى «وَنَزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نِبَاتٍ شَتَّى» [طه: ٥٣]، كما أنه أصل كل شكل حيواني «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ» [النور: ٤٥]. وهنالك بعض العلماء يُعرّفون الحياة بأنّها ظاهرة مائية؛ لأنّه لا يوجد كائن حي واحد يستطيع الحياة دون ماء. نعم هنالك بعض الكائنات تستطيع تحمل الجفاف زمناً طويلاً، ولكنّها لا تفعل ذلك إلا وهي كامنة لا نشاط لها، ومُتدثرة بأغطية تحميها من أن تتحف حتى تموت. ولكن لا يوجد كائن حي واحد، يستطيع النمو والتكاثر دون ماء.

(٢) الكائنات الحية معظم أجسامها ماء، ولكنّها تتفاوت في ذلك، بحسب طبيعة بيئتها وخصائصها وأطوار حياتها؛ فالماء، على سبيل المثال، قليل في البذور والأظلاف والقرون، وقليل نسبياً في بعض حيوانات الصحراء، ولكنه يزيد على التسعين في المئة من أوزان بعض الثمار مثل: الطماطم، وال الخيار، وكثير من الكائنات البحرية. ولو أخذنا الإنسان مثلاً، لوجدنا أنّ نحو من ثلثي جسمه ماء. والماء يحمل إلى كل خلية في جسم الإنسان أسباب حياتها من أكسجين وغذاء وهormونات ومواد المناعة ودواء وقيتامينات، ويخلصها من كل نفايات مضرّة وسامّة. وكل العمليات الحيوية في جسم الإنسان -بلا استثناء- لا تجري إلا في وجود الماء؛ فدون الماء، لا يحدث تنفس، أو غذاء، أو هضم، أو إخراج أو تكاثر. ولوّاً ما تدّوق الإنسان طعاماً، وما شمّ عطرًا، ولن يبصّر أنيجته، وتلاصقت مفاصله، وارتقت درجة حرارة جسمه، حتى

يَمُوتُ.

(٣) قصّة الماء مع الإنسان قصة طويلة، تبدأ معه نطفة تسبح في ماء، ثم جنيناً في بطن أمّه، وتصله ضرورات الحياة كلها من أمّه محمولة مع الماء، ثم طفلاً يرضع أول غذاء له من ثدي أمّه لبنا سائغاً قوامه الماء. بل إن الماء مع الإنسان حتى في آلامه وأحزانه التي يدربها دموعاً. فلا عجب أن يُسْتَطِيع الإنسان الصبر على الجوع أياماً كثيرة، لكنه لا يتَحَمَّل الظماء إلا يوماً واحداً أو أياماً قلائل لا تزيد على الأربعة غالباً.

(٤) يحصل الإنسان على حاجته من الماء من ثلاثة مصادر رئيسية: فتحو ٤٧٪ منه يشربه ماء أو سوائل مختلف قوامها، ٣٩٪ منه يكون فيما نسميه بالأغذية الصلبة؛ فاللحوم والخضروات والفاكه والخبز كلها فيها نسب من الماء، أما الجزء الباقي وهو ١٤٪ فيكون نتيجة عمليات الاحتراق الدائرة في الجسم. أما الماء الخارج من الجسم، فتحو من ثلثيه يخرج مع البول (٩٥٪ من البول المعتاد ماء) أما الثلث الباقي، فيخرج مع العرق وهواء الزفير، وما تطرده الأمعاء.

(٥) الماء أعظم منظم للضغط، ودرجة الحرارة، والمواد المختلفة بين أجزاء الجسم. ويتحكم في كمية الماء في الجسم، جهاز منظم بديع، فيجب أن يكون بين صادرات الجسم ووارداته توازن دقيق؛ فالإنسان إذا فقد من مائه نحو ١٪ من وزنه حسمه شعر بالظماء، وإذا فقد نحو ٥٪ جف حلقه وجلد، وأصيب بانهيار تام. أما إذا تجاوز ١٠٪ سوف يقرب من الموت والهلاك، ولن يُقدّم منه إلا شريحة ماء. والعجيب أن ازدياد كمية الماء في الجسم أيضاً خطيرة؛ فإنها تسبب الغثيان وارتفاع ضغط الدم، ثم تؤدي بالتدريج إلى اختلاط العقل، وفقد حاسة الاتجاه الصحيح، والاحتلالات، والتشنجات، والغيبوبة ثم الموت. وللماء فوائد أخرى للإنسان لا تعد؛ فهو يستخدمه في نظافته وإعداد غذائه، وتناوله طعامه، وفي صناعاته التي لا تكاد تستغني إحداها عن الماء، وفي انتقاله في الأنهر والبحار والمحيطات. بل إن التاريخ يذكر كثيراً من أبناء المعارك التي دارت بسببه، والحضارات التي ازدهرت بسببه، وتلك التي بادت بسبب فقدده، أو سوء تدبيره.

(٦) وبعد فقد تبيّن لنا، أن الماء نعمة كبيرة من الله؛ فالماء أصل الحياة وسرها، ولذا يجب أن نحافظ على هذه النعمة بعيداً عن مصادر التلوث المختلفة، وألا نسرف في استعماله.

(من مجلة الوعي الإسلامي: بتصريف)